بابلو نيرودا

انشودة الى لوركا

ترجمها عن الاسبانية : ماهر البطوطي

نيـرودا

تعتبر قصيـدة بابلو نيرودا « انشودة الى لوركا » من أعظم المراثي الشعرية التي نظمت في أدب اللغة الاسبانيـة وفي الآداب العالمية . وقد كتبها نيرودا ـ الحاصل على جائزة نوبل للاداب عام ١٩٧١ ـ عشية اعلان مقتل الشاعر لوركا في غرناطة بعد انـدلاع الحرب الاهلية الاسبانية في يوليو ١٩٣٦ . وتستبين في هذه القصيدة مدى العلاقـة والصـداقة الوثيقة التي كـانت تربط الشاعرين ، ومدى الجرح الذي أحسـه الشعر والشعراء بموت لوركا ، ذلك الجرح الذي نزف الدماء ثانية بعد موت نيـرودا فـي سبتمبر ١٩٧٣ . والقصيـدة مرآة صادقة لشعر نيرودا الذي يمتاز بعاطفتـه الجيـاشة وصوره الشعرية الاصيـلة الغريبـة .

لو أمكنني أن أبكي من الخـوف في
بيت منعزل
لو أمكنني أن أنزع عينيّ وأسحقهما
لفعلت ذلك حزنا على صوتك البرتقالي
المتشح بالسواد
وحزنا على أشعارك التي تهبّ صارخة .

* * *

لاجلك صبغت المستشفيات نوافذها
بالزرقة
وانتشرت المدارس والاحياء المطـلة
على البحار
ونما الريش في أجسـاد الملائكـة
المثخنة بالجراح
وغطت الزعانف الاسماك السماوية .
لاجلك
طارت القنافذ الى السماوات العلى .
لاجلك امتلأت الابنية ذات الفشاء الاسود
بالنصال وبالدماء
وابتلعت شرائط حمراء
وقتلت الواحدة منها الاخرى بالقبلات
وارتدت الملابس البيضاء .

* * *

حين تحلّق طائرا متشحا بالملابس
الخوخية
حين تضحك ضحكـة عيدان الارز
يعصف بها الريح
حين تغني فتهز العروق والاسنان
والحنجرة والاصابع
أموت من فرط حسرتي على عذوبتك
أموت على البحيرات الحمراء
التي تحيا فيها وسط الخريف
مع الفرس المنهار والاله الذي ينزف
بالدماء
أموت على المقابر التي تسري كالانهار
الرمادية
بمياهها وقبورها
في الليل كالاجراس الفريقة .
أنهار كثيفة كأنها عنابر جنود مرضى
تتحول فجأة على حدود الموت
الى أنهار ذات أرقام مرمرية
وتيجان متعفنة وزيوت جنائزية .
أموت من أجل أن أراك
ترقب في الليل مرور الصلبان المطمورة
واقفا تبكي
لانك تبكي في وجه نهر الموت
مهجورا ، مثخنا بالجراح .
تبكي باكيا ، وعيناك مفعمتان
بالدموع ، بالدموع ، بالدموع .

* * *

لو انني استطعت وحيدا في الليل
أن أجمع النسيان والظلال والدخان
وأنشرها فوق القطارات والبواخر
من خلال قمع أسود
بينما أمضغ الرماد
لفعلت ذلك من أجل الشجرة التـي
تنمو معها
من أجل اللبلاب الذي يغطي عظامك
لكي أنقل اليك أسرار الليالي

* * *

مدائن تفوح منها رائحة الابصال المبتلة
تنتظر ظهورك مغنيا بصوتك الاجش
بينما تتبعك سفن صموتة محمـلة
بالعنبر
وعصافير خضراء تبني أوكارها فـي
شعرك
وهناك كذلك القواقع والايام
والصواري وأشجار الكرز
تدور وتلتف
حتى تصل الى رأسك الشاحب
ذي العيون الخمس عشرة
وفمك ذي الدم الفريق .

* * *

لو استطعت أن أملأ البلاد بالسواد
وأن أهدم الساعات من البكاء
لفعلت ذلك من أجل أن أشهد امـام
منزلك
مجيء الصيف بشفاهه المحطومة
مجيء العديد من الاشخاص متشحين
بثياب ميتة

مجيء الارض ذات البهاء الحزين
مجيء المحاريث الميتة وأزهار الخشخاش
مجيء حفّاري المقابر والفرسان
مجيء الكواكب والخرائط تنزف بالدماء
مجيء الغواصين يغطيهم الرماد
مجيء الملثمين يجرون العذارى
وقد غاصت في أجسادهن النصال الطويلة
مجيء الجذور، العروق، المستشفيات، الينابيع، النملات،
مجيء الليل
ومعه الفراش الذي يموت عليه جندي الخيالة
وسط خيوط العنكبوت
مجيء زهرة الكراهية، والوخزات،
مجيء السفائن المعصفرة
مجيء نهار عاصف وأطفال
مجيئي أنا، ومعي أوليفر
ونورا، وفيشنتي الكساندر، ودواليا،
ماروكا، مالفا، مارينا، ماريا لويزا ولاركو
روبيا، رافاييل، أوجارتي،
كوتابوس، بيبي، مانولو التولاجيري، موليناري،
ووساليس، كونشا مندس
وآخرون غابوا عن ذاكرتي.

* * *

تعال اضع التاج على هامتك
يا فتى الاصحّاء والفراشات
أيها الفتى النقي
كأنك الزنجي البارق الطليق أبدا.
تعال نتحادث
الآن، حيث لا أحد يقعى بين الصخور
نتحادث ببساطة كعادتنا أنا وأنت.
ما فائدة الاشعار لو لم تكن من أجل الندى؟

* * *

ما فائدة الاشعار لو لم تكن لليلة مثل تلك الليلة
حيث يتبعنا خنجر مرير،
لذلك اليوم
لذلك الشفق
لذلك الركن المحطوم
حيث يتهيأ للموت فؤاد الانسان

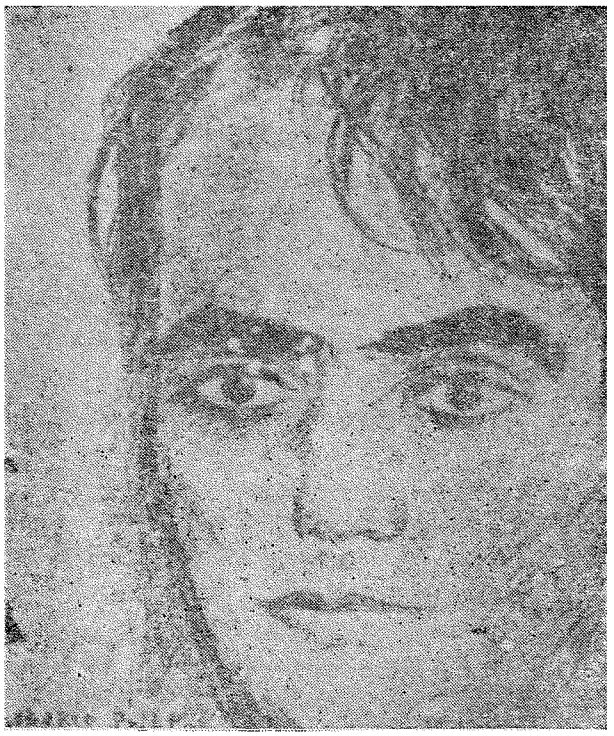

لوركا

الكسير؟

* * *

في الليل فوق كل شيء
في الليل ترصع السماء انجم كثيرة
كلها في محيط نهر واحد
كأنها شرائط معلقة
على نوافذ المنازل الممتلئة بالناس المباكين.

* * *

ربما مات لهم أحد
ربما فقدوا وظائفهم في المكاتب.
في المستشفيات، في المصاعد،
وفي المناجم
تقاسي المخلوقات وقد أثقلتها الجراح
وهناك عزم وأنين في كل الانحاء
بينما الانهر تجري في محيط نهر
لا ينتهي
هناك أنين طاغ يصاعد من كل النوافذ
والمداخل قد تهاوت بفعل الانات
الفرفات ابتلت من الانين
الذي يأتي في موجات تبتلع الابسطة.

* * *

فديريكو

انك ترى الدنيا الآن
ترى الطرقات
الطعام
والوداع على أرصفة المحطات
حين يرفع الدخان أطواقه الحاسمة
الى حيث لا شيء
سوى الفراق والاحجار والقضبان الحديدية.

* * *

مئات من الاشخاص
يتساءلون في كل الانحاء.
هناك الضرير الدامي، والثائر،
والفاتر الهمة
والبائس، وذو الاظافر المورقة
وقاطع الطريق يحمل أحقاده فوق كتفيه.

* * *

هكذا الدنيا يا فدريكو
هاك الاشياء التي يمكن ان تقدمها لك صداقتي
صداقة الرجل المكتئب الرجولي.
لقد علمت الكثير من الاشياء بنفسك،
ولسوف تعلم أشياء أخرى
تأتي في بطء.